كلمة الدكتور مشارقة في المؤتمر الثاني
في افتتاح المؤتمر

أيها الرفاق

أيها الأخوة

جهود طيبةٌ كبيرةٌ، يبذلها مجمع اللغة العربية في دمشق، تؤازره فيها المجامع اللغوية في عدد من الأقطار الشقيقة. ونشاط متواصلٌ دؤوب، يقوم به دفاعًا عن اللغة العربية والثقافة العربية، دون كَلاَلٍ أو ملل، في ظروف تشهَد فيها اللغة العربية تحدياتٍ كثيرة، وتتعرض فيها لمخاطر جمّة. إذ يسعى الذين يرومون النيل من اللغة العربية ومكانتها، إلى دفع أبنائها إلى التخلي عنها، وجعلها من المنسيّات. مَثَلُها في ذلك مَثَلُ لغاتِ أقوامٍ، عاشت حَقْبةً من الزمن، ثم اندثرت باندثار الناطقين بها. ولم يبق منها إلا آثار منقوشة على أحجار، أو تحملها رُقُمٌ تنبُشُ عنها الحفريات.

ومساعي أعداء الأمة العربية للنيل من لُغتها ووعاء ثقافتها وحضارتها، ليست حديثة العهد، فهي قديمة جديدة، وخصومها لا يكِلّون ولا يمَلّون. وإذا كانت أعمالهم قد حبِطَت في سالف العهد، فمن باب أولى أن تَحبَط أعمالهم في هذا العصر، وأن تَدْحَضَ حُجَجُهم، وأن تسقُط ذرائعهم، وأن يبوءوا بالإخفاق والخذلان في نهاية المطاف. بفضل تصدي العلماء العاملين من أبناء الأمة العربية، للمحاولات المشبوهة، التي يقوم بها ذوو الشنآن، وكشفِ حقيقة مزاعمهم. ودَحْضِ حُججهم، وإسقاطِ ذرائعهم، لتبقى اللغة العربية، لغة العلم والمعرفة، لغة الثقافة والحضارة، لغة البيان والتبيين لمئات الملايين من أبنائها،

وأمثالهم من الناطقين بها في بلدان العالم الإسلامي.

هذا ولما كانت اللغة العربية، هي المقومَ الأساسيَّ لقوميتنا العربية، وهي في الوقت ذاته لغةُ القرآن الكريم والحديث الشريف الذي أُثِرَ عن سيد المرسلين، ولغةُ الشريعةِ الإسلامية السمحاء. فلا يسعنا إزاء ذلك كله، إلا أن نقدر لمجمع اللغة العربية في دمشق، عظيم اهتمامه بشأن هذه اللغة الجميلة، وأن ننوه بالجهود الطيبة التي يبذلها في نَدَواته ومؤتمراته، لإعلاء شأن اللغة العربية، والثقافة العربية، والدفاع عنهما في مواجهة مساعٍ، يبذلها أعداء الأمة للنيل منهما، أو يروج لها جاهلٌ من أبنائها، يكرر كالببغاء مقولات المغرضين من الخصوم، دون إدراك منه لحقيقة الأمر والغايات التي يسعَوْنَ لبلوغها.

ويسعدني في هذه المناسبة الكريمة، وأنا أنوب عن السيد الرئيس بشار الأسد برعاية هذا المؤتمر. أن أنقل إليكم تحياته القلبية، وتقديره الكبير لما يبذلون من جهود، دفاعًا عن اللغة العربية، في مواجهة المخاطر التي تتعرض لها، حتى تستعيد هذه اللغة أمجادها الغابرة، ويكون لها مكانتها المرموقة، بين اللغات الحيّة واسعة الانتشار في عالمنا المعاصر.

أيها الرفاق

أيها الأخوة

أشرنا آنفًا إلى أنّ مساعي أعداء الأمة، للنيل من اللغة العربية، قديمة حديثة. وما ذلك إلا لأن عمليةَ استهدافِ الأمة العربية من قبل أعدائها، هي عملية مستمرة متجددة، تمد جذورها في أعماق التاريخ. لأن الأعداء يتخوفون من صحوة الأمة العربية ونهضتها، وأن تمسك بزمام الأمور، سواء أكان ذلك متعلقًا بشؤون المنطقة العربية وما حولها، أم كان متعلقًا بالشؤون الدولية.

ولذلك كانوا يسعون بوسائل شتى، لإبقاء الأمة العربية، في حالٍ من الضعف والتخلف والتجزئة، لتكون عديمة الفاعلية، يسهل عليهم الهيمنة عليها، والتحكم بمقدراتها ونهب ثرواتها.

وقد وجد أعداء الأمة العربية، أن من بين الوسائل المجدية في هذا المجال استهدافَ اللغة العربية والثقافة العربية، والسعيَ للقضاء عليهما، بمختلف الأساليب والوسائل. في إطار مخطط خبيث مشبوه، دعوا فيه إلى إحلال العامية الدارجة محل الفصحى. وهم يبغون من ورائه، إنهاء الوجود القومي للأمة العربية، لأن اللغة هي المقوم الأساسي للقومية العربية. فيقطعون بذلك الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها. ويأتون على التراث العلمي والمعرفي الضخم، للحضارة العربية الإسلامية. «وقد نبّه السيد الرئيس بشار الأسد في كلمته القيمة التي ألقاها في القمة الإسلامية العاشرة في يوتراجايا إلى خطر المفاهيم المطروحة التي يروج لها البعض بقصد أو بغير قصد، والتي تستهدف ثقافتنا وحضارتنا. وبيّن أن الخطر علينا لا يأتي من حرب عسكرية أو اقتصادية فحسب.. بل من حربٍ ثقافية يجب التنبه إليها أولاً. فهي الأخطر، لأنها قد تؤدي إلى تشويه هويتنا أو إلى إلغائها». كما أن أعداء الأمة باستهدافهم اللغة العربية يقطعون الأواصر بين الأقطار العربية، بل يقطعون الأواصر بين بقاع القطر الواحد، لأنه ليس ثمة لهجة عامية واحدة يتكلمها أبناء كلِّ قطر. وهم بذلك يحلمون بأن يعيدوا العرب إلى حالٍ من البدائية لغويًا. تؤدي إلى طمس هويتهم القومية، وتدفعهم إلى التفتيش عن لغةٍ للكتابة والقراءة والتعلم والتعليم. فيجدون في إحدى اللغات الأوربية ضالتهم، كما هي حال بعض الأقوام في أفريقيا، واستراليا والأمريكيتين..

هذا وقد تحدثنا في مناسبات سابقة، عن الذرائع التي يتذرعون بها، لتحقيق مآربهم الخبيثة، سواء أكانت تلك الذرائع المزعومة، تتعلق بصعوبة تعلم اللغة العربية، لصعوبة نحوها وصرفها كما يدعون، أم لعسر كتابتها لتعقيد إملائها حسبما يزعمون. أم لمجافاتها للتطور المتسارع الذي يشهده عالمنا المعاصر، في مختلف مجالات التِّقْنِيّةِ، مما يستدعي الاستغناء عنها، والأخذ بواحدة من اللغات العالمية الواسعة الانتشار وفق ما يتخرصون.

هذا في الوقت الذي نجد فيه اقوامًا، يتشبثون بلغات أحفورية لم يكن لها استعمال إلاّ في جانبٍ من الطقوس الدينية التي يمارسونها في معابدهم ويعملون على إحيائها.

إلا أن العلماء المخلصين من أبناء الأمة العربية، الغيورين على هويتهم ولغتهم وثقافتهم وحضارتهم، كانوا دائمًا بالمرصاد، لكل ناعبٍ وناعق يذودون عن اللغة العربية، وينافحون عنها ويدحضون حُجج الخصوم، لتبقى اللغة العربية، لغة العلم والمعرفة لدى أجيال الأمة ورمزًا لثقافتها وحضارتها على مر العصور.

أيها الرفاق

أيها الأخوة

تتفاقم معاناة الشعب العربي الفلسطيني في الأراضي المحتلة، من جرّاء أعمال الإرهاب التي يتعرض لها يوميًا، وحربِ الإبادة التي يشنها عليهم مجرم الحرب شارون، والتي تستهدف إفراغ الأراضي العربية المحتلة من سكانها في عملية تطهير عرقي، لإقامة ازيد من المستوطنات عليها واستقدام المستوطنين اليهود من أنحاءٍ شتى ليقيموا فيها.. فالفلسطينيون يتعرضون يوميًا للقتل والاغتيال، والسجن والاعتقال، وتتعرض مدنهم للاجتياح من قبل قوات

الاحتلال الإسرائيلي، ومنازلهم للهدم، ومزارعهم للتجريف وبِناهم التحتيةُ للتدمير. ويعانون من الحصار والإذلال والتجويع معاناةً مريرة. فالمجازر التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في رفحٍ منذ أيام، والدمار الهائل الذي أحدثته فيها وجعلت رفح من خلاله مدينةً منكوبة، دليل واضح على أن الإرهابي شارون عدوٌ للسلام، وأن حكومته حكومة حربٍ تتعمد وأد عملية السلام والإجهاز على أية فرصةٍ متاحة لتحقيقها. وما قيل في رفح يقال في جنين وما شهدته من مجازر وتدمير وحشي إبان الاجتياح الإسرائيلي لها، وفي غيرها من مدن وحواضر فلسطين، كما أن جدار الفصل العنصري الذي تقيمه حكومة شارون والذي سيحيل ما تبقى من الضفة الغربية إلى معازل للفلسطينيين، يؤكد السياسة العدوانية التوسعية للعدو الصهيوني، والطبيعة العنصرية لذلك العدو.

وما كان العدو الصهيوني، ليقدم على ارتكاب أعمال الإرهاب بحق الفلسطينيين ويشن عليهم حرب الإبادة، وينكل بهم أفظع تنكيل، لولا ما يحظى به من دعم ومساندة ورعاية وحماية من قبل الإدارة الأمريكية. التي تؤمن له الدعم السياسي في المحافل الدولية، كما تؤمن له الدعم العسكري والاقتصادي والمالي والتِّقْني. وتسعى إلى تبرير جرائمه، بذريعة أن العدو الصهيوني إنما يدافع عن نفسه، فهي تنكر على الشعب الفلسطيني الذي احتلت أرضه وانتهكت حرماته، وارتكبت بحقه أفظع الجرائم والمجازر، تنكر عليه أن يقاوم قوات الاحتلال، وتحاول أن تَلْبِسَ الحق بالباطل، فتصف أعمال المقاومة الوطنية التي يقوم بها الفلسطينيون، بأنها أعمال إرهاب. مع أن المقاومة الوطنية حق مشروع أقرته الأعراف والمواثيق الدولية، لكل شعب

تعرضت بلاده للاحتلال. وأن أعمال الإرهاب في العالم، إنها دولة إرهاب قامت عليه واستمرت به ومارست أبشع أنواعه ضد العرب.

ومهما حاولت الدوائر الصهيونية، ومن يقف وراءها، وصم أعمال المقاومة الوطنية للشعب العربي الفلسطيني، بأنها أعمال إرهاب، فإنها لن تفلح بالقضاء عليها، ولن توقف الانتفاضةَ انتفاضةَ الأقصى المبارك، فالمقاومة مستمرة ما استمر الاحتلال، وهي تحظى بدعم جماهير الأمة العربية على امتداد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، ودعم قوى التحرر والأحرار في العالم.

وقد أكد السيد الرئيس بشار الأسد بوضوح في القمة الإسلامية العاشرة، «أنه دون البحث عن الأسباب الكامنة، وراء ما يَحْصُلُ من أحداث مؤلمة في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، وفي فلسطين بشكلٍ خاص. تبقى الاستنكارات والإدانات عاجزة عن التأثير في زيادة وتيرة الجرائم الإسرائيلية، أو في منع الرد المشروع للمقاومة ولا تكون حينئذٍ أكثر من مضيعة لوقتٍ كلنا بحاجة إليه».

ويبقى موقف سورية من عملية السلام، موقفًا ثابتًا، فسورية تنادي بالسلام العادل والشامل، وتسعى لتحقيقه وفق قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة وقرارات القمة العربية في بيروت، بما يفضي إلى انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة إلى خطوط الرابع من حزيران عام ١٩٦٧ وبما يكفل استرداد الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة كاملة السيادة على تراب وطنه وعاصمتها القدس الشريف.

إلا أن عدم رغبة إسرائيل في تحقيق السلام، وتنكرَها لمتطلباته، وعدَم التزامها بقرارات الشرعية الدولية، وتصعيدَ قمعِها للفلسطينيين في الأراضي المحتلة، وإمعانَها

في السياسة الاستيطانية، وعدوانَها على الدول العربية المجاورة وما يخامرُها من غطرسة القوة، لامتلاكها تَرَسانةً ضخمة من الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل على اختلافها، كان عقبة كأداء حال دون أن يحقق عملة السلام تقدمًا يذكر منذ أن انطلقت من مؤتمر مدريد عام ١٩٩١.

مما يتطلب من المجتمع الدولي، اهتمامًا حقًّا بعملية السلام، وجهدًا أكبر، يجبر إسرائيل، على الرضوخ لمتطلبات السلام والالتزام باستحقاقاته. حتى يتحقق السلام العادل والشامل، اذي ينعم به الجميع، ويوفر الأمن والاستقرار لجميع الأطراف في المنطقة.

وقد أكد السيد الرئيس بشار الأسد في كلمته القيمة في القمة الإسلامية العاشرة «أن على الإسرائليين أن يعرفوا أنه مهما كبرت قوتهم العسكرية، فلن يفلحوا في تحقيق أهدافهم، ولن يتمكنوا من زرع الخوف في نفوسنا».

وأما عن الوضع في العراق، فإن سورية أكدت في العديد من المناسبات، حرصها على سلامة العراق ووحدة أراضيه، وعلى حرية شعبه وكرامته، وأكدت دعمها لكل خطوة تقوم بها الأمم المتحدة، تقود إلى إنهاء احتلال العراق، وتسلم الشعب العراقي زمام أموره.

فلقد كان العراق ضحيةً لحربٍ، حاول من أوقدوا نارها، تبريرها بمبررات غير مقنعة، سواء أكانت تلك المبررات تندرج في إطار الحرب على الإرهاب، أم امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، أو ما زُعِمَ من أنه يشكل خطرًا وتهديدًا للآخرين.

ولم يطل الوقت حتى تبيّن لمن خاضوا الحرب، أن الحرب لم تحقق لهم ما كانوا يطمحون إلى تحقيقه، وأن ما تمخضت عنه الحرب من نتائج، لم يكن سوى تقويض أركان العراق، ونشرِ الخراب والدمار والفوضى في ربوعه. وأخذ

العراقيون يدفعون الثمن معاناة شديدة، من سوء الأوضاع المعيشية، والافتقارِ إلى أبسط الخدمات الأساسية، والشعورِ بالإحباط والمهانة من جراء ممارسات قوات الاحتلال.

وقد أكد السيد الرئيس بشار الأسد في قمة بوتراجايا أن «من الطبيعي أننا كبلد جار للعراق وتَرْبِطُنا به علاقات تاريخية من الأخوة، أن نكون في مقدمة من يتأثر بما يجري فيه، وأن نكون معنيين بحاضره ومستقبله. لذلك نؤكد حرصنا على أن يستعيد العراق سيادته واستقلاله وحريته بأقصى سرعة، وأن يسترد دوره الذي يليق بمكانته. ولن يتحقق ذلك إلا من خلال انسحاب قوات الاحتلال، وفقًا لجدولٍ زمني محدد. يترافق مع انتخاب حكومةٍ وطنية تعبر عن خيار الشعب العراقي بكل شرائحه. وأن يكون للأمم المتحدة دور فاعل في المساعدة على إدارة شؤونه، وإعمارِه بالشكل الذي يحدده العراقيون أنفسهم وليس نيابة عنهم».

أيها الرفاق

أيها الأخوة

ختامًا أرجو لمؤتمركم النجاح، وأن يخرج بتوصيات ومقترحات تعزز مكانة اللغة العربية، وتعلي شأن الثقافة العربية. وأن تجد تلك المقترحات والتوصيات طريقها إلى التطبيق، من خلال متابعةٍ جادة مع ذوي الشأن في كل مجال من المجالات المعنية بالموضوع. وأشكر لكم جهودكم الدؤوبة وسعيكم الصادق، لتحتل اللغة العربية المنزلة المرموقة التي هي أهل لها بين لغات العالم الحيّة الواسعة الانتشار. ولتبقى هذه اللغة رمزًا لثقافتنا، ووعاءً لعلومنا ومعارفنا، وعنوانًا لأمجاد أمتنا، تفخر به الأجيال عبر الدهور.